بسم اللّه الرحمن الرحيم

و به نستعين

تبارک اللّه سبحانه ما أعظم شأنه، و أظهر برهانه، هو ذو العرش الأعلى، و مبدع السماوات العلى، الذي كان و لازمان و لامكان، فأوجد الخلائق بقدرته الكاملة، و أظهر الحقائق بحكمته البالغة، أبدع العقول و بهّجها في مشاهدة آثار جلاله، و اخترع الأجرام العلويّة وأدارها في اشتياق كماله، و أودع في أدوار دورانها ظهور ما علم في القدم، على نهج ما رقم في اللوح بالقلم.

ثمّ أظهر الأسرار اللاهوتيّة في المرآة الناسوتيّة، فخُصّص نوع الإنسان بالتكريم و الإحسان، و جعله مظهراً للطائف صنعه و مظهراً لعجائب فعله، فاجتبى منه الأنبياء، و اصطفى من بينهم سيّد الرسل و الأصفياء عليهم السلام مفاتيح الهدى و مصابيح الدجى.

أمّا بعد، فيقول الفقير إلى اللّه الغنيّ **محمّد بن أحمد الخفري**؛ لمّا كان أعلى المطالب و أسنى المآرب معرفة ذات اللّه تعالى و صفاته و أفعاله، أردتُ تأليف رسالة مشتملة على بيان بعض لطائف سيّد الآيات، يعني آية الكرسيّ التي هي محتوية على أُمّهات مسائل الإلهيّات، و لمّا تمّ ترقيمها جعلتها تحفة لعالى حضرت، مَنْ أيّده اللّه تعالى بالنصر و الظفر، و جعل في سطوع دولته سعادة البشر، تزيّنت الدنيا بظهور شوكته الزاهرة، و تنوّرت الأرض بلمعان أنوار سياسته الباهرة، درّت أخلاق رأفته على الأفاضل، و قرّت بمشاهدة جلاله عيون الأعيان و الأماثل، فهو اليوم منبع الخيرات، و مجمع السعادات، و ملاذ بني نوع الإنسان.

و رتّبتها على مقدّمة، و مقصدين، و خاتمة.

أمّا المقدّمة:

المطلب الأوّل

ففي ذكر أقسام الموجودات على الإجمال

و اعلم أنّ الموجودات من حيث هي موجودة لها حكم، و من حيث هي تنقسم إلى خصوصيّة المُلک و الملكوت الأدنى و الملكوت الأعلى و عالم المثال لها حكم آخر،

فالموجود الحقيقيّ ـ الذي هو موجود باعتبار ذاته و موجد لغيره ـ هو الحقّ، و آثاره الصادرة عنه ـ التي هي موجودة باعتبار الارتباط إليه تعالى و هي المسمّاة بالعالم ـ تنقسم إلى أقسام أربعة :

أحدها : عالم المُلْک الذي يسمّى «عالم الخلق و الشهادة» و هي تنقسم إلى الأفلاک و العناصر و المواليد .

أمّا الأفلاک الكلّيّة فتسعة، تدلّ عليها تسع حركات متخالفة ـ على ما هو المشهور ـ أعلاها ـ و هو المسمّى بالفلک الأطلس ـ متحرّکٌ بالحركة السريعة اليوميّة، و محرّک لجميع العلويّات، و عظيمة بحيث يكون قطرة أعظمَ من سبعين ألف ألف، فرسخ بمقدار ضعْف ثخَنه الذي لا يعلم مقداره إلاّ خالقه جلّ و علا، و سرعة حركته بحيث يتحرّک في زمان ـ يقول فيه أحد لفظةً واحدةً ـ ألفين و أربعمائة فرسخ من مقعّره، على ما بيّنته في *منتهى الإدراک*. [1]

و قيل : إنّ هذا الفلک هو العرش .

فإن قيل : ما وقع في الحديث النبويّ ﷺ ـ من تصوير عظمة العرش من : «أنّ اللّه تعالى خلق ملكاً له سبعون ألف جناح، و طار سبعين ألف سنة، لم يصل في ذلک الزمان من قائمة من قوائم العرش إلى قائمة أُخرى»[2] ـ يدلّ على أنّ العرش أعظم من هذا الفلک على الوجه المذكور .

قلت : يمكن أن يقال : ما وقع في الحديث تصوير عظمة جرمه باعتبار المحدّب و ثخنه، و المقدار المذكور من الفراسخ إنّما هو مقدار قطر مقعّره .

و من أجل هذا الحديث قيل : إنّ العرش هو الزمان المحيط بالحوادث، القائمُ بالحركة السريعة التي جريها مشابه لجري المياه .

و لهذا قال النبيّ ﷺ : «كان اللّه و لم يكن معه شيء» و «كان عرشه على الماء» . [3]

و قيل : إنّ [العرش] هو مجموع الممكنات، و لهذا قال اللّه تعالى : ﴿**الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى**﴾ (طه (٢٠) : ٥) .

---

١ . لم نعثر عليه فى الجوامع الروائيّة حسب تتبعنا

٢ . لم نعثر عليه فى الجوامع الروائيّة حسب تتبعنا

٣ . الدر المنثور، ج۴، ص۴۰۳

و قيل : إنّ العرش هو العقل الأوّل المسمّى بعقل الكلّ ؛ فإنّه محيط بجميع الممكنات التي بعده .

و تاليه الفلك الثامن الذي محدّبه مماسّ لمقعّر التاسع ، و فيه خلق جميع الكواكب التي غير السبعة السيّارة ، و يكون مقدارُ قطره المقدارَ المذكور الذي هو قطر مقعّر الفلك التاسع ، و هو متحرّك بالحركة البطيئة التي يتمّ دوراتها في خمسة و عشرين ألف سنة تقريباً .

مع أنّه يتحرّك كلّ يوم ثلاثاً و ثلاثين فرسخاً ـ على ما بيّنت في الكتاب المذكور ـ و مع ذلك لم تدرك حركته في الرصد إلاّ بعد سبعين سنة ، فسبحان مَنْ خلق جسماً يتحرّك كلّ يوم ثلاثاً و ثلاثين فرسخاً ، و لم يدرك مجتمع من هذه المسافة في خمسين سنة في الأرصاد ، لعظمته ، و صور البروج إنّما تكون في هذا الفلك . و أمّا البروج المعتبرة عند الجمهور ، فهي إنّما تكون في الفلك التاسع .

فإن قيل : يترتّب الآثار على البروج عند المنجّمين ، هل هي آثار لصور البروج ، أو آثار للبروج التي هي في الفلك التاسع ؟

قلت : الآثار على ثلاثة أقسام :

أحدها : يترتّب على صور البروج من خواصّ الكواكب و الصور .

و ثانيها : يترتّب على البروج الكائنة في الفلك التاسع من الانقلاب و الثبات و غيرهما .

و ثالثها : يترتّب على مجموع الصور و البروج ، فعلى ما ذكر يمكن أن يحمل قوله تعالى : ﴿**وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ**﴾ (البروج(٨٥) : ١) على كلّ من هذين الفلكين ، كما لا يخفى .

و أمّا الأفلاكَ الباقيةَ ، فأعلاها خلق فيه زحل و جعل مظهر الآثار الجلاليّة ؛ و لهذا جعل أبعد من المشتري الذي جعل مظهر الآثار الجماليّة ، فخلق المشتري في الفلك السادس الذي محدّبه مماسّ لمقعّر فلك زحل .

و أمّا الفلك الخامس ، فخلق فيه المرّيخ الذي هو مظهر الآثار الجلاليّة أيضاً .

و أمّا الفلك الرابع ، فخلق فيه الشمس ، و محدّبه مماسّ لمقعّر فلك المرّيخ ، و مقعّره مماسّ لمحدّب فلك الزهرة التي هي مظهر الآثار الجماليّة أيضاً ، فانظر إلى هذا النظام الأعلى ؛ فإنّ نحوسة زحل تندفع بسعادة الزهرة .

و أمّا الفلك الثالث ، فخلق فيه الزهرة التي هي مظهر الآثار الجماليّة .

و أمّا الفلك الثاني ، فقد خلق فيه عطارد ، و محدّبه مماسّ لمقعّر فلك الزهرة ، و مقعّره مماسّ لمحدّب فلك القمر ، و به تنتهي الأفلاك . و مقدار قطر عالم الكون و الفساد الذي

هو محاط لفلک القمر خمسة و ثمانون ألف فرسخ و خمسمائة فرسخ تقريباً .

و هذا العالم ينقسم إلى أجسام بسيطة و مركّبات .

و البسائط أربعة : النار و الهواء و الماء و الأرض ، و مقدار محيط الدائرة العظيمة المحيطة على الأرض ثمانية آلاف فرسخ ، و مقدار قطرها ألفان و خمسمائة و خمسة و أربعون فرسخاً .

و لمّا كان الحاصل من ضرب القطر في محيط الدائرة العظمى في الكرة تكسير سطحها ، كان سطح الأرض عشرين ألف ألف و ثلاثمائة و ستّون ألفاً ، و ربعه تكسير الربع المسكون .

و أمّا المعمور من الأرض ، فهو قريب من سدس جميع سطح الأرض و سدس عشره ، و هي ثلاثة آلاف ألف و سبعمائة و ستة و خمسون ألفاً و أربعمائة و عشرون فرسخاً ، و الأرض مع عظمها لا قدْر لها في الحسّ بالنسبة إلى الأفلاک . و كيف لا ، و الشمس مع صغرها في الحسّ بثلاثمائة و عشرين مثل الأرض ، كما بيّنته في الكتاب المذكور .

و أمّا المركّبات فهي على قسمين :

أحدهما : غيرتامّ التركيب ، كالغمام و أمثاله .

و الثانى : تامّ التركيب ، و هو على ثلاثة أقسام :

أحدها : المعدنيّات ، و عدد أنواعها ثلاثمائة و ستّون على عدد درجات الأفلاک .

و ثانيها : النباتات ، و لايمكن حصرها .

و ثالثها : الحيوانات ، و عدد أنواعها ـ على ما أُلّف ـ ألف و أربعمائة ؛ إذ عدد أنواع الحيوانات البحريّة ثمانمائة ، و عدد أنواع الحيوانات البرّيّة ستّمائة .

و هذا كلام إجماليّ في أقسام الأجسام السفليّة و الأجرام العلويّة .

و أمّا عند التفصيل ، فعدد الأفلاک ما ينتهي إلى أربعة و عشرين ، على ما هو المشهور عند الجمهور ؛ لأنّهم أثبتوا للحركه السريعة الفلک الأطلس ، و للحركة البطيئة الثابتة للثوابت الفلک المسمّى بفلک البروج ، و أثبتوا لسرعة حركة فلک الشمس و بطئها و انتقال أوجه اثنين : الممثّل و الخارج المركز ، و أثبتوا لسرعة حركة فلک القمر و بطئها و ازديادهما و انتقال أوجه و جوزهره أربعةَ أفلاک : الجوزهر و المائل و الحامل و التدوير . و لسرعة حركة عطارد و بطئها و ازديادهما و انتقال أوجه أثبتوا أربعة أفلاک له : الممثّل و الحامل و التدوير و المدير . و لسرعة حركة الزهرة و بطئها و ازديادهما و انتقال أوجها أثبتوا ثلاثة

أفلاک : الممثّل و الحامل و التدوير . و كذلک أثبتوا لكلّ من العلويّة ثلاثة أفلاک : الممثّل و الحامل و التدوير و هذا على الهيئة المشهورة .

و أمّا على الهيئة التي هي مشروحة في *منتهى الإدراک* الذي ألّفته و ـ أثبت للقمر بسبب سرعة حركته و بطئها و ازديادهما و انتقال أوجه و جوزهره و تشابه حركة مركز تدويره عند مركز العالم و محاذاة قطر تدويره لنقطة المحاذاة عشرَ أفلاک ، و لعطارد بسرعة حركته و بطئها باقي الأحوال المذكورة و تشابه حركته في العروض أثبتّ ثلاثة عشر فلكاً ، و للزهرة للأحوال المذكورة و أحوال عروضه أثبتّ ثمانية أفلاک ـ فجميع الأفلاک التي أثبتّه في الكتاب المذكور ثلاثة و ستّون فلكاً ، عددها مع عدد العناصر و المواليد يرتقي سبعين ، فزيادة تسعة و ثلاثين فلكاً على ما هو المشهور لينحلّ جميع الإشكالات الستّة عشر المشهورة التي أعيت ذوي نهاية الإدراک في دراية الأفلاک ، و عجزت عن حلّها الحكماء ، كما شهدت المصنّفات الكبرى .

فهذا أنموزج في بيان عالم الملک .

و أمّا عالم الملكوت الأعلى ـ و هو عالم العقول ـ فطبقاته بعدد هيوليّات العالم الجسمانيّ ، و المشهور أنّها عشرة مترتّبة من العقل الأوّل الذي هو آلة لإيجاد الفلک الأطلس إلى العقل العاشر الذي هو آلة لإيجاد عالم الكون و الفساد ، و هو المسمّى بروح القدس و جبرئيل عليه السلام .

و قيل : عدد العقول إنّما هو بعدد الأنواع المتحقّقة في عالم الملک .

و قيل : عددها إنّما يكون بعدد الأفلاک كليّة أو جزئيّة ، لكن ينتهي سلسلة العقول إلى عقل هو آلة لفيضان عالم الملک السفليّ .

و على التقادير تتّصف العقول التي هي صور روحانيّة بأنّها جواهر مجرّدة عن الموادّ ، منزّهة عن الفساد ، و مدركة لذواتها و لما عداها بذواتها غير متعلّقة بالأجسام ، كما دلّ عليه البرهان ، و نصّ عليه في السنّة و القرآن ، كما قال اللّه تعالى : ﴿**إِنّا لَنَحْنُ الصّافّونَ * وَ إِنّا لَنَحْنُ المُسَبّحون**﴾ (الصافات(۳۷) : ۱۶۶-۱۶۵)

و قال اللّه تعالى : ﴿**وَ الصّافّات صفّاً**﴾ (الصافات(۳۷) : ۱)

و قال اللّه تعالى : ﴿**فَالسّابقاتِ سَبْقاً * فَالمُدبّرات أمْراً**﴾ (الصافات(۳۷) : ۵-۴) فإنّ قوله تعالى : ﴿**فَالسّابقات سَبْقاً**﴾ إشارة إلى المفارقات من العقول و قوله : ﴿**فَالْمُدبّرات أمْراً**﴾ إشارة إلى النفوس المجرّدة .

و قال النبيّ ﷺ: «إنّ اللّه كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إنّ رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»[1]، و هذا مؤيّد لكون العرش عبارة عن الفلك الأعلى.

و قال ﷺ: «خلقت الملائكة من نور»[2]، فالعقول أنوار قاهرة مؤثّرة فيما تحتها من النفوس و الأجرام بتأثير اللّه تعالى فيها، فقاهريّتها ـ التي هي تأثيرها في غيرها ـ صورةُ صفة قاهريّة اللّه تعالى و أثر من آثار قدرته تعالى، كما أنّ نوريّتها سبحة من سبحات وجهه، و بهذا الاعتبار تسمّى العقول بالملائكة المقرّبين و عالمها عالمَ القدرة.

و كما تفيض منها صورة الأشياء و حقائقها بإفاضة الحقّ سبحانه، فكذلك تفيض منها صفاتها و كمالاتها التي يجبر نقصانها، و بهذا الاعتبار يسمّى بعالم الجبروت، و هي صورة صفة جبّاريّة اللّه تعالى.

و معلوم أنّ تلك الحقائق و الكمالات الفائضة منها لو لم يكن ثابتة فيها لم يمكن فيضانها عنها، فإذن تلك الحقائق بأعيانها و كمالاتها منتقشة فيها، و بهذا الاعتبار تسمّى بالعقول، و ذلك الانتقاش هو صورة القضاء الإلهيّ، فمحلّه عالم الجبروت، و هو المسمّى بأمّ الكتاب الذي أشار إليه بقوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمّ الكتاب**﴾(الرعد(١٣): ٣٩)

و كلّ ما يفيض من العلوم الحقّة الموسومة بالعلوم الدينيّة يفيض عنه، كما قال اللّه تعالى في القرآن: ﴿**وَ إنّهُ فى أُمّ الكتاب لَدَينا لَعَلِىٌّ حكيم**﴾(الزخرف(٤٣): ٤)وقال اللّه تعالى: ﴿**إقرأ وَ ربُّكَ الأكْرم*الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**﴾(العلق(٩٦): ٣-٤)

و تلك الجواهر العقليّة هي خزائن الغيب، كما قال تعالى: ﴿**وَ إنْ مِنْ شىء إلاّ عندَنا خَزائنُه**﴾ (الحجرات(١٥): ٢١) و لا شكّ أنّها متعالية عن تعلّق الزمان، مقدّسة عن تغيّر الحدثان.

فهذا أنموذج في بيان عالم العقول الذي هو الملكوت الأعلى.

و أمّا عالم الملكوت الأدنى، فهو عالم النفوس المجرّدة المدبّرة إمّا للأجرام السماويّة أو الأبدان الإنسانيّة؛ فإنّ الأجرام السماويّة لها نفوس مجرّدة، لها إدراكات و إرادات جزئيّة بآلاتها، كالنفوس الإنسانيّة بعينها، يشتاق كلّ من النفوس المجرّدة الفلكيّة إلى كمال جوهر روحانيّ هو آلة لفيضانها و إلى التشبّه به بقدر الإمكان؛ لإدراكها بعض كمالاته، فطلب بالإرادة وصفاً كليّاً؛ ليستعدّ به لذلك التشبّه.

---

١. الفردوس بمأثور الخطاب، ج١، ص١٧٤، ح٦٤٩

٢. مسند أحمد، ج٩، ص٤٩٣، ح٢٥٢٤٩

و تنضمّ إلى إدراكاتها الكلّيّة إدراكات جزئيّة، فتنبعث منها أشواق و إرادات جزئيّة توجب حركات جزئيّة، كما هو حال النفوس الإنسانيّة في تحريكاتها عند إرادة تحصيل المطالب، و بكلّ حركة يحصل للمتحرّك بها وضع جديد، تفيض بذلك الوضع على النفس المجرّدة الفلكيّة من معشوقها صورة عقليّة هي كمال لها و إشراق نوريّ يوجب لها لذّة جديدة و شوقاً جديداً إلى كمال آخَرَ و إرادة لتحصيله.

و على هذا تتعاقبُ الحركات، و تتلاحق الأوضاع، فتتوالى الصور على النفوس السماويّة، و يتواتر فيضانها على الموادّ متتالية، فتتعاقب استعداداتها لقبول الصور و تترادف الصور.

و لمّا تقرّر أنّ ثبوت الصور في معشوقات النفوس الفلكيّة التي هي الأرواح و العقول بلاتغيّر هو القضاء، فحدوثها في النفوس الخياليّة السماويّة المنطبعة في أجرامها متشخّصةً هو القدر.

و بعضهم يطلقون القدر على حصول تلك الصور في موادّها المتعيّنة في الخارج، و يرون أنّ المحو و الإثبات لايكون إلاّ في الموادّ و الصور الجزئيّة المنطبعة في الفلكيّات ثابتة أبداً بلاتغيّر.

و أمّا المحقّقون فهم يقولون: إنّ المحو و الإثبات فيها، بنفسها الكون و الفساد في الموادّ.

و أمّا النفس الناطقة الإنسانيّة فكمالُها بحسب القوّة العمليّة أن تكتسب الملكة الفاضلة و العدالة، و هي اعتدال القوى الشهوانيّة والغضبيّة و التدبيريّة.

و أمّا كمالُها بحسب القوّة العقليّة فهو بأن تصير عالماً عقلياً مرتسماً فيها صور كلّ الموجودات إلى الجواهر الشريفة الروحانيّة العقليّة، ثمّ إلى الجواهر الروحانيّة المتعلّقة بالأبدان، ثمّ الأجرام العلويّة بهيئاتها و قواها حتّى تستوفي في نفسه هيئة جميع الموجودات كلّها، فينقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود في الأعيان كلّه، فحصل لها مشاهدة لما هو الحسن المطلق و الخير المطلق.

فهذا أنموذج من أحوال عالم الملكوت الأدنى.

و أمّا عالم المثال فهو عند الإشراقيّين عالم موجود غير قائم بالقوى الجسمانيّة، بل إنّما يكون القوى مظاهر له، و ما يرى الإنسان في النوم إنّما يكون في هذا العالم.

و أمّا عند غيرهم فهذا العالم إنّما هو قائم بالقوى الجسمانيّة، و لهذا لم يعتبر في مراتب الجواهر، و قالوا: إنّ مراتب الجواهر أربعة: إحداها العقول، و ثانيتها النفوس، و ثالثتها الطبائع، و رابعتها الهيوليّات.

و وضعت قدماء الحكماء لواجب الوجود الواحدَ و الألف، و للعقول الاثنين و الباء، و للنفوس الثلاثةَ و الجيمَ، وللطبائع الأربعةَ و الدالَ، هذا إذا اعتبر الواجب الوجود باعتبار ذاته و النفوسُ و الطبائعُ باعتبار ذواتها.

و أمّا إذا اعتبر الواجب الوجود باعتبار تأثيره في الممكنات، فوضع له تعالى الخمسةُ التي[إذا] ضُربت في نفسها، ظهرت [في] حاصل الضرب، و في حاصل ضربها في مربّعها، و هكذا في المراتب التي بعد التربيع.

والهاء التي قيل: هو الأصل في لفظ «اللّه»؛ فإنّهم قالوا: أصل هذا لفظ «ه»، ثمّ أشبع تارة فصار «هو» و أُلحق إليه اللام تارة فصار «له»، فله الخلق و الأمر، ثمّ ألحق إليه اللام الآخر تارة فصار «للّه»، فللّه ما في السماوات و الأرض، و ألحق إليه الألف و اللام أُخرى فصار «اللّه».

و في هذا الاسم الأعظم أسرار و خصائص لاتحصى.

و وضع للعقول باعتبار تأثيرها فيما تحتها الستّةُ و الواوُ، و وضع للنفوس باعتبار تأثيرها في الأبدان السبعةُ و الزاي، و وضع للطبائع باعتبار تأثيرها في الهيوليّات الثمانيةُ و الحاءُ، و وضع للهيوليّات التي في غاية الهبوط التسعةُ و الطاءُ.

فأُصول الموجودات هذه التسعة، كما أنّ أُصول الأعداد تسعة، هي من الواحد إلى التسعة؛ فإنّ جميع الأعداد الباقية إنّما يحصل منها، إمّا بالتركيب أو بالضرب، و لهذا وضع حكماء الهند ـ الذين لهم الدرجة العلى في معرفة الأشياء ـ تسعةَ أرقام لهذه الأعداد التسعة.

و في اختيار وضع هذه الأرقام لطائفُ دقيقة تظهر بالتأمّل بمعونة ما ذكر من وضع هذه الأعداد التسعة لمراتب الموجودات، مثل لمّيّة كون رقم الثمانية عكساً لرقم السبعة باعتبار العلْو و السفْل، و لمّية كون رقم الستّة عكساً لرقم الاثنين باعتبار اليمين و الشمال.

فذلك أنموذج من أحوال الممكنات.